

إلى كبيرنا الذي علمنا الشعر والفكر الأستاذ محمد العلي*

"نأت زرفةُ البحـرـ" عنكـ

فماذا ستفعلـ من دون بحرـ

وهذـي الرمالـ

عليـكـ

كما هبطـ الليلـ

من كلـ " صوبـ تـهـالـ"

نـأـيـ عنـكـ أـسـلـافـكـ الـبـادـرـونـ وـجـوـهـهـمـ

فـوقـ أـمـواـجـهـ

حـينـ مـالـ بـهـمـ دـهـرـهـمـ

مـثـلـ غـصـنـ

فـمـالـوـاـ

ولـيـسـ بـشـافـ بـكـأـؤـكـ

لـيـسـ بـمـجـدـ نـدـأـؤـكـ

إـذـ رـحـتـ تـنـدـبـهـمـ وـاحـدـاـ وـاحـدـاـ

كـيـ يـعـودـواـ :

تعـالـوـاـ !

ضـبـابـ يـحـيـطـ بـكـ الـآنـ مـنـ كـلـ صـوبـ

وـ"لاـ مـاءـ فـيـ المـاءـ"

لـاـ كـأسـ فـيـ الـكـأسـ

وـالـبـئـرـ تـلـكـ التـيـ كـنـتـ تـرـوـيـ حـرـوفـكـ مـنـهـا

غـدتـ "أـثـرـاـ" بـعـدـ عـيـنـ

والنوارسُ - حتى النوارسَ -

تلك التي كنتَ تذخرها للملمّاتِ، خانتَ

زرقةَ البحرِ

ما عدتَ تسمعُ من ريشها المتقاتلِ لحدّا

كأنك ما كنتَ أنتَ ولا هي كانتَ

سوى حلمٍ عابرٍ

بتَ تنفسُ منه اليدينَ

نأتَ زرقةً علامتك الأناشيدَ

والسيفُ ينأى

وما ثمَّ غيمٌ يلوحُ

(سوى ما بدا في خيالك)

فالأرضُ مثل شرائين قلبك طمأى

وما عاد يجدي سؤالك:

كيف؟ لماذا؟ وأزدى؟ وأين؟

نأتَ زرقةً البحرِ عنك

فماذا ستفعلُ

من دون بحرِ؟

تشاطرتما الجهلَ والحيرةَ الأبديةَ

لا زرقةُ البحرِ عارفةٌ بالمالِ الذي تذهبانِ إليهِ

ولا أنتَ تدرى!

كنتَ تكتبُ شعرًا

وتنشهه للنوارسَ

للبحرِ

للفتياتِ الحبيباتِ في الفجرِ

للفاطماتِ يغنين "يا دانه دانه"

للمطرِ المتهاطل فوق الشجرِ

كنتَ تسهرُ وحدكَ

حتى تزورَ طيوفُ النعاسِ

جفونَ القمرِ °

كنتَ تتبعُ مجرى النهرِ °

وتسقهُ للمصبِ °

وما كان يقبلُ إلاك ندًا له

إذ تفيءُ عليه بظلك

تحنو على عشيه وحجارته المسكونة في قعره °

ثم تتلو على سمعه ما تيسّرَ من غزلِ

مثل وحي تنزلَ °

من أعلى سماء القصيدة °

يا سيدي، فأجبني إذا ما سألك،

لكن بصوتك:

"آهٍ متى تتغزل؟"